# ثورة الأخطبوط

محمود سالم

# ثورة الأخطبوط

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

# ثورة الأخطبوط

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٩٣١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| من هم الشياطين الـ «١٣»؟ | ٧ |
| أبطال هذه القصة | ٩ |
| التليفون القاتل! | ١١ |
| ماذا يشغل «أحمد»؟! | ١٥ |
| العودة إلى سويسرا! | ١٩ |
| مستعمرة الروبوت! | ٢٣ |
| الفقاعة العملاقة! | ٢٩ |
| الاختطاف! | ٣٥ |
| الانفجار الرهيب! | ٤١ |

# من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

# أبطال هذه القصة

**رقم «١»:** «أحمد» من مصر.

**رقم «٢»:** «عثمان» من السودان.

**رقم «٣»:** «إلهام» من لبنان.

**رقم «٤»:** «هدى» من المغرب.

**رقم «٥»:** «بو عمير» من الجزائر.

**رقم «٦»:** «مصباح» من ليبيا.

**رقم «٧»:** «زبيدة» من تونس.

**رقم «٨»:** «فهد» من سوريا.

**رقم «٩»:** «خالد» من الكويت.

**رقم «١٠»:** «ريما» من الأردن.

**رقم «١١»:** «قيس» من السعودية.

**رقم «١٢»:** «باسم» من فلسطين.

**رقم «١٣»:** «رشيد» من العراق.

**رقم «صفر»:** الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

# التليفون القاتل!

عاد «أحمد» من «سويسرا»، وملف عملية شبكة الموت لم يُغلق بعدُ، ولكنها كانت أوامر رقم «صفر» وكان عليه تنفيذها دون مناقشة، على أن يناقش ذلك كيف شاء في أقرب اجتماع للمنظمة، وقد كان.

فبمجرد عودته إلى «مصر»، ومعه مجموعة عملية «شبكة الموت»، اتصل بهم رقم «صفر» وهنأهم على سلامة الوصول، وحدَّد لهم موعد الاجتماع بالمقرِّ السري الصغير بالهرم.

كان موعد الاجتماع هو مساء اليوم التالي لوصوله، وقد رأى أنه ميعاد بعيد ... فرغبته في معرفة الدافع إلى قرار عودته من «سويسرا» سبَبُه بالتأكيد ملحٌّ، مما دفعه بعد الانتهاء من إعادة ترتيب أشياء السفر إلى النزول إلى غرفة المعلومات المركزية وعلى أحد أجهزة الكمبيوتر بدأ يقرأ تقارير المنظمة عن الفترة التي قضاها خارج مصر، وفي رأسه تساؤل يقول: لماذا لا يبثون لنا في مواقع العمليات التقاريرَ اليومية عن أعمال المنظمة؟! وقبل أن يفكِّر في الإجابة رأى إشارة تتردَّد على الشاشة تدل على أن هناك رسالة وعليه أن يتلقَّاها. وبحذرٍ شديد تعامل معها ... فعرف أنه «بيتر». وقد كان اللقاء عبر شاشات الكمبيوتر حميمًا، واندهش «أحمد» عندما أخبره «بيتر» بأنه على علمٍ بكل ما يحدث، وأنه حاول الاتصال بجماعة «سايبرسبيس» فلم يجِدْ لهم أثرًا على الشبكة، وأنه أعمل جهده للحصول عليهم بطُرقٍ مختلفةٍ، فلم يتمكن وهو يرى أن هناك احتمالين لهذه النتيجة ... الأول: أنهم أمَّنوا اتصالاتهم بأسلوب علمي متطور جدًّا ... وهذا ممكن. أما الثاني — وهو الأرجح — فهو استغناؤهم عن شبكة الإنترنت ولو مؤقتًا، واستخدامهم لأسلوب وتكنولوجيا أكثر تطورًا وأحدث، وهو ما يجب عليهم العمل لكشفه.

ورغم حيرته وازدحام الأسئلة في رأسه؛ إلا أنه شعر بسعادة غامرة ... فها هو الجديد يطارده ... وها هي العملية التي لم تتم تُبعث فيها الروحُ من جديد، وأخيرًا ... ها هي جماعة العباقرة الذين يظنون أنهم سادة هذا الزمان، يفرون أمام الشياطين ... ويغيِّرون طُرقهم وأشكالهم، خوفًا من الوقوع في أيديهم. وقد كان لهذا الاتصال مفعول السحر على «أحمد»؛ فقد استسلم لنومٍ عميق لم يوقظه منه إلا ذبذبات ساعة يده ... فاستيقظ ويده على زرٍّ بها ... يضغطه ليتلقَّى الرسالة ... وبالفعل كانت هناك رسالة. ولم تكن الرسالة إلا عبارة عن ثلاث كلمات وتوقيع: «نحن في انتظارك ... الشياطين.»

في قاعة الطعام ... كان اللقاء أحلى من طعام الفطور، وكان شوقُهم إلى شاي الصباح أقلَّ من شوقهم لسماع تفاصيل ما دار في «سويسرا».

في مساء نفس اليوم عُقد الاجتماع الذي انتظره «أحمد» بشوق، وكان أول ما قاله رقم «صفر» بعد تحية المساء هو: أعرف أن «أحمد» متضرِّرٌ من قرار إعادته من «سويسرا»، ولكن دوافع هذا القرار كثيرة ... وأعتقد أنكم قد استنتجتم بعضَها.

عثمان: إذا سمحت لي.

رقم «صفر»: تفضَّل.

عثمان: إن عملية القبض على زعيم مافيا تجارة السلاح، وبالأخص على أبرز أعضاء جماعة «سايبرسبيس» سيثيرهم ثورةً عارمة، مما سيدفعهم للتحرك بلا وعي، والتصرف بعنفٍ، وإن كان ذلك سيعرِّض حياة الشياطين للخطر.

رقم «صفر»: نعم يا «عثمان» هذا أهم عامل ... وهناك عوامل أخرى ... منها أن العملية قد خرجت عن خطها الرئيسي، وهو القبض على جماعة «شبكة الموت» إلى التعامل مع مافيا تجارة السلاح ... مما يستلزم معه إعادة صياغة أسلوب التعامل مع هذه القضية ... وإعادة الاتصال بـ «بيتر» وهذه مهمة «أحمد».

أحمد: إذا سمحت لي ... لقد اتصل بي «بيتر» مساء أمس، وعرفت منه أن جماعة «سايبرسبيس» لم يعاودوا الاتصال عبر الشبكة منذ القبضِ على أحد أعضائهم.

رقم «صفر»: هذا يعني أنهم أمَّنوا اتصالاتهم عبر الشبكة.

أحمد: أو أنهم استخدموا وسيلةً تكنولوجية أحدث.

إلهام: أو أنهم لم يعودوا في حاجة لوسائلِ اتِّصال!

رقم «صفر»: تعنِين أنهم الآن مجتمعون في مكانٍ واحد؟

قال «عثمان» مندفعًا: نعم ... نعم ... هذا تصوُّرٌ أقرب للواقع.

رقم «صفر»: ولكنه قابل للمناقشة مع باقي التصورات، وأعتقد الآن أن «أحمد» قد عرف لماذا أعدناه. ادرُسوا الأمر جيدًا فيما بينكم، وسأخبركم بميعاد الاجتماع التالي، لكم تحياتي.

رغم انصراف رقم «صفر» ... إلا أن الجميع لفت نظرهم أن «أحمد» لم يغادر مكانه ويبدو عليه عدم الرضاء عما تمَّ، وكان هذا مدعاةً لتساؤلهم، إلا أن «أحمد» لاحظ انشغالهم به فصرَّح لهم بكل ما يدور في ذهنه.

# ماذا يشغل «أحمد»؟!

قال «أحمد»: يشغلني جدًّا «بيتر» ... فأنا أعتقد أن جماعة «سايبرسبيس» والذين أطلقنا عليهم اسم «شبكة الموت» لن يتركوه حيًّا ... فقد كان هو وسيلة الاتصال بينهم وبيننا، وأنتم تعرفون كيف تعارفوا وطريقة عملهم.

فهد: نعم فقد تعارفوا عن طريقة شبكة الإنترنت، واتفقوا على هدفٍ واحد رغم أنهم من دول عديدة.

ريما: نعم ... اتفقوا على أن أموال العرب وثرواتهم ليست من حقهم، بل هي ملك العقول التي صنعت التكنولوجيا التي أخرجت لهم هذه الثروات، وجعلت لها أهمية وثمنًا.

إلهام: ومنذ ذلك الحين وهم يعقدون اجتماعاتهم عبر شبكة الإنترنت، ويطاردون رجال الأعمال العرب، ويتجسَّسون عبر الشبكة على أسرار صفقاتهم وأعمالهم.

أحمد: نعم ... وبذلك يصبحون صيدًا سهلًا لهم ... فيبتزُّون أموالهم.

لكن من المهم ألَّا ننسى أن فكرة تواجدهم بُنيت على شبكة الإنترنت، فكيف سيتخلون عنها، وبهذه السرعة؟

لم يكمل «أحمد» حديثه فقد شعر كل منهم بوَخْز في رسغه، وبالنظر إلى شاشات ساعاتهم عرفوا أن جديدًا هناك سيُعرض عليهم على شاشات الكمبيوتر.

وفي قاعة المعلومات المركزية التفُّوا جميعًا حول شاشة الكمبيوتر العملاقة، فقد ظهرت في أعلى الشاشة جهة اليمين علامة الشياطين تُضيء وتختفي، ثم أُضيئت الشاشة ليظهر عليها مجموعة لقطات لمحطات أقمار صناعية في أماكن مختلفة من العالم.

وخرج صوت من سماعات الكمبيوتر يقول: هناك حادثة عادية تحدُث في أي مكان في العالم، هي أن يقتحم مجهولون محطة أقمار صناعية ... وتكون الدوافع مختلفة. ولكن الغريب هذه المرة أنها وقعت في أكثرَ من دولة على مستوى العالم في وقت واحدٍ.

علَت الدهشة وجوه الشياطين وتبادلوا نظرات الاستفهام، وحلَّقت في سقف الغرفة الكثير من الأسئلة. لماذا محطات الأقمار الصناعية بالذات؟ وما الدافع وراء اقتحامها؟ وما نوع الاقتحام؟ وكيف تم؟ وهل هناك علاقة بين مجموعة الحوادث المتفرقة في وقت واحد؟ ولماذا في وقت واحد؟

كعادتهم حين يجتمعون، فإنهم يشتركون حتى في التأمُّل؛ لذا فقد انتبهوا جميعًا حينما سمعوا «أحمد» يفكر بصوت عالٍ في أقرب الأسباب التي جعلت هذه الحوادث تتم في يوم واحد؛ فهو يرى أنه عمل منظَّم، وأن هناك صلة بين مدبِّري هذه الحوادث؛ فإما أنها صلة مباشرة — أي تخضع لرأس مدبِّر واحد — أو صلة تضامنية، مثل التي جمعت بين أعضاء جماعة «سايبرسبيس».

إلهام: ألا نستطيع أن نربط بين اختفاء جماعة «سايبرسبيس» من على شبكة الإنترنت، وبين هذا الاقتحام لمحطات الأقمار الصناعية؟

ريما: هذا احتمال بعيدٌ جدًّا، وأعتقد أن انشغالك «بشبكة الموت» هو الذي أوجد هذا التصور عندك!

أحمد: لا يا «ريما» ... فلا شيء مُستبعدٌ في دنيا الجريمة ... فما بالك إذا كان هؤلاء المجرمون هم جماعة بـ «شبكة الموت»؟!

عثمان: أعتقد أن ما تقصده «إلهام» هو أنهم يبحثون عن وسيلة أخرى أكثر أمنًا ويُسرًا للاتصال فيما بينهم.

إلهام: نعم هذا ما أقصده.

أحمد: رغم جرأة الفكرة وخطورتها إلا أننا يجب أن نضعها في الحسبان.

إلهام: على كل حالٍ، يجب علينا أن نجمع معلوماتٍ كافيةً عن كل عملية على حدة لتحديد نوع العلاقة بينها، ومعرفة الغرض من الاقتحام، وعلى إثر صوت إشارة صادرة من جهاز الكمبيوتر، وجَّه «أحمد» جهاز التحكم عن بُعد، فظهر على الشاشة أحد خُبراء المنظمة، يُلقي عليهم تحية المساء، ويخبرهم أن هناك الجديد من الأخبار عن عملية الاقتحام ... سوف يعرضها عليهم.

انتبه الجميع، وساد الصمت، ولم يعُد هناك غيره يتكلم.

قال: في مساء الثلاثاء الماضي، تقدم ستةُ رجال من عدَّة دول مختلفة إلى شركة واحدة لها فروع في هذه الدول الستة، للاشتراك في خدمة التليفون المحمول. والملفت للنظر هنا أنهم تقدموا في ساعةٍ واحدة وفي نفس الدقيقة من نفس اليوم.

وهذه الشركة، لها قناة اتصال خاصة، على أحد أقمار الاتصال الأوروبية.

ولهذه القناة وحدات استقبال في كل محطات الأقمار الصناعية التي تعرضت للاقتحام وإلى مزيد من التفاصيل، أترككم على خير ... مركز أخبار ومعلومات المقر.

اختفت صورة الرجل من على الشاشة، لتظهر رسالة من رقم «صفر» يطلب منهم محاولة تفسير ما حدث منطقيًّا.

أحمد: إنهم جماعة «سايبرسبيس» يحاولون إيجاد طريقة للاتصال فيما بينهم بديلًا عن شبكة الإنترنت.

رقم «صفر»: وما دليلك على ذلك؟

أحمد: هذه الدِّقة في التوقيت بالإضافة لوجود المبرر المنطقي.

رقم «صفر»: ولنفترض أنهم هم، فلماذا يكون هدفهم وسيلةَ اتصالٍ فقط؟

أحمد: ليس هناك غير ذلك التجسُّس!

رقم «صفر»: لا ... هناك التوجيه ... أي يكون هدفهم هو التحكم عن بُعدٍ في توجيه جهاز ما أو شيء من هذا القبيل.

أثارت فكرة رقم «صفر» خيال الشياطين وأشعلت فضولهم؛ فبعد إنهاء اتصاله، علت الهمهمة بينهم، وتداخلت الأصوات ... وتحولت القاعة إلى ساحة تضم عدة فرقٍ، منهم من يستدعي قناة معينة على شاشة الكمبيوتر ومنهم من دخل في حوار جدلي مع زميله.

وانتبهوا جميعًا إلى «أحمد» وهو يغادر القاعة، وصوت «إلهام» خلفه يعترض على انصرافه قبل إتمام المناقشة. فتدخَّل «عثمان» مُبديًا عدم رضائه عما يحدث ... مذكرًا إياهم بروح النقاش للرأي الآخر.

التفت إليه «أحمد» مبتسمًا وهو يقول: أنا لا أنسحب من نقاشٍ، بل أنا ذاهب لإعداد كوب من الشاي شعرت بحاجة إليه.

إلهام: وكوب لي يا «أحمد».

عثمان: وأنا.

أحمد: لا أنتِ ولا هو ولا أنا.

وضحك الجميع عندما رأوه يعود مرة أخرى إلى القاعة، رافعًا يده معترضًا على استغلالهم له ... ولكنه لم يكن الأمر كذلك ... بل السبب فكرة طرأت على رأسه، جعلته يشخص ببصره فيهم للحظات، حتى ساد الصمت القاعة، ثم قال لهم: ماذا لو تحوَّلتْ أجهزة الاتصال في جيوبنا إلى أجهزة تصنُّت، وأجهزة شوشرة إلكترونية؟ ماذا يحدث لو أن تليفونك المحمول تحول إلى آلةٍ قاتلة؟!

غلب الصمت والترقب على الشياطين وهم يستمعون لـ «أحمد» مما ساعده على الاستطراد في أفكاره فقال: تصوروا معي ... «عثمان» مثلًا يركب سيارته ويقودها بسرعةٍ ما في مكان مزدحم داخل المدينة، فيسمع إشارة تنبيه من تليفونه المحمول. وعندما يقوم بتلقِّي الرسالة تخرج من التليفون موجات كهرومغناطيسية تُحدِث خللًا في درجة تركيزه ... وتختل عجلة القيادة في يده، والباقي أنتم تعرفونه.

وأنا لا أقصد «عثمان» بالذات، فهذا ما أتوقَّع حدوثه مع كل من يستعمل تليفونًا محمولًا ولهم عنده مصلحة ... أو لهم معه ثَأْر.

قالت «إلهام» في انزعاج: أتتوقَّع أن يكونوا قد نجحوا في الوصول إلى ما تقوله؟

أحمد: هذا ممكن جدًّا.

إلهام: إذن «بيتر» في خطر!

# العودة إلى سويسرا!

بناءً على طلب «أحمد»، تحدَّد موعد الاجتماع فجر اليوم التالي، ورغم ما تدرَّبوا عليه من قدرة على النوم وقت شعورهم بالحاجة إليه، أو حالَما تقتضي الظروف؛ لم يستطيعوا النوم في هذه الليلة؛ فقد كان ما يشغلهم كثيرًا، وما يعدُّون له أكثر.

وقبل ميعاد الاجتماع بنصف ساعة، عرفوا أن رقم «صفر» سوف يلتقي بهم عبر الشبكة، ولكن على خط خاص بالمنظمة لا يمكن اقتحامه. فعرَفوا أنه قد علم بعدم نومِهم، وأنه لا يريد أن يشُق عليهم. وبعد حمام دافئ، دبَّ النشاط في أوصالهم، مع رغبةٍ خفية في الاسترخاء؛ مما دفعهم للقيام ببعض التمرينات الرياضية المنشِّطة.

وفي الميعاد، كان الجميع أمام شاشات الكمبيوتر، وكانت الخطوط البيانية المتراصة قد ظهرت عليها، وصوت رقم «صفر» يُلقي عليهم تحية الصباح، ويسألهم عما يشغلهم إلى هذا الحد.

أحمد: «بيتر» في خطر.

رقم «صفر»: كيف عرفت؟!

أحمد: إنه استنتاج منطقي.

رقم «صفر»: سنعمل على حمايته.

أحمد: لن نستطيع.

رقم «صفر»: ماذا تقول؟!

إلهام: سيقتلونه بأجهزته الشخصية.

رقم «صفر»: مثل ماذا؟!

أحمد: جهاز الميني كمبيوتر، أو التليفون المحمول.

رقم «صفر»: وما الدافع لهذا التصور؟!

عثمان: عملية اقتحام محطات الأقمار الصناعية.

فطلب منهم رقم «صفر» الانتظار لدقائق لسماع رأي الخبراء.

وهنا طلب «أحمد» منه أن يعقد اجتماعًا بينهم وبين هؤلاء الخبراء؛ لتوضيح ما يفكِّرون فيه، ولكي تطمئن قلوبهم.

وبسرعة شديدة، أعدَّ الخبراء أنفسهم لاجتماع الشياطين، وكان النقاش ساخنًا، والأفكار جادة وعميقة. وكان الشياطين على مستوًى عالٍ من المعرفة وسعة الأفق.

خرج الجميع من هذا اللقاء، مقتنعين بآراء الشياطين، في أن جماعة «سايبرسبيس» — أو الفضاء الإلكتروني الخيالي هو الاسم الذي يُطلقه البعض أيضًا على شبكة الإنترنت — هم مقتحمو الأقمار الصناعية، وأن ذلك بهدف إحداث بعض التغير والإضافة في الشبكة، حتى يمكِّنهم من التحكم عن بُعد في إرسال ما يشاءون من موجات وإشارات ترصدها وتستقبلها المحطة.

وقد أشار «أحمد» في توضيحه لفكرته إلى دائرة الـ F.M التي تُدمج مع دائرة التليفون العادي، فيتمكن أي إنسان من التجسُّس على المكالمات التليفونية لنفس الجهاز على بُعد مائة مترٍ بواسطة جهاز الراديو العادي، وهي دائرة رخيصة تُباع بأسواق الإلكترونيات في كل مكانٍ.

وقد كان رأي رقم «صفر» هو أن يحاربهم بنفس أسلحتهم.

ومن هنا نبع قرار رقم «صفر» بسفر تشكيل من جماعة الشياطين مرة أخرى إلى «سويسرا»، مع التغيير في القيادة، إلا أن «أحمد» أصر على السفر، فالعملية عمليته، وعليه أن ينتهي منها. أما «بيتر» فقد رأوا أن يدعوه في رحلة إلى «مصر» لتأمينه حتى ينتهي القبض على أعضاء هذه الجماعة.

إلا أن «أحمد» رأى أن «بيتر» هو الشمعة التي ستحوم حولها الفراشات — أي أعضاء الجماعة — وسيسهل مهمة القبض عليهم، وفي حالة وجوده معهم في «سويسرا»، سيرون أن الوجبة ستكون دسمة، مما يستلزم تواجدهم مجتمعين، وهي فرصة للتخلص منهم مرة واحدة.

أعجبت الفكرة رقم «صفر»، فطلب منه محاولة الحصول على «بيتر»، ودعوته إلى «سويسرا» وتحدد ميعاد السفر بناءً على هذا الاتفاق.

انتهى الاجتماع، ورضي «أحمد» عن كل ما تمَّ، ومعه باقي الشياطين فانصرف كلٌّ منهم إلى غرفته، ليحصل على ما شاء من ساعات النوم الجميل بعد هذا العناء الطويل، مع تمنيات العاملين في المقر لهم بأحلام سعيدة. ولكن ... هل عندهم مكان للأحلام؟

إن عقولهم مليئة بالقضايا، وشُغلهم الشاغِل أمن الإنسان العربي وأحلامه، وحماية مصالحه. ولكن — وفي ظل هذا التطور التكنولوجي الهائل، والتقنية الحديثة المتاحة لكل من معه ليدفع — أصبحت السيطرة على عالم الجريمة أمرًا غاية في الصعوبة؛ لأن التقدم العلمي أصبح خطيرًا إذا واكبته رِدَّة أخلاقية.

ظلت الأفكار تعمل في رأس «أحمد» حتى غلبه النوم.

عند غروب شمس ذلك اليوم المعتدل الحرارة من أيام ربيع مصر الدائم، استيقظ الشياطين، وعيونهم على كرة حمراء كجمرة النار ... تطل عليهم من بين الهرم الأكبر وهرم «منقرع»، وكانت نوافذ غرفهم كلها تطل على هضبة الأهرام.

في قاعة الطعام تساءل «أحمد» إن كان الفراعنة قد عرفوا علوم الاتصال عن بُعد، وتكنولوجيا التجسُّس، والتوجيه بالأشعة تحت الحمراء كما في الصواريخ.

ردت «إلهام» قائلة: لقد عرفوا ما هو أعْقَد من ذلك.

أحمد: ولأنني حفيدهم؛ فقد توصَّلت إلى قرار لا رجعة فيه.

إلهام: بالنسبة لماذا؟

أحمد: عملية «شبكة الموت».

عثمان: وما هو؟

أحمد: السفر ... وفورًا إلى «سويسرا».

علت الدهشة وجوه الشياطين، وقد حاولوا معرفة المزيد منه، إلا أنه أصرَّ على ألا يُفصح عن شيء إلا بعد إطلاع رقم «صفر» عليه.

أقلعت الطائرة من مطار القاهرة، في مساء اليوم التالي لاتخاذ «أحمد» قرار السفر، وهو بين ركابها ... وبجواره تجلس «إلهام» غير مُصدقة لما يحدث. كذلك «عثمان» الذي كان يجلس خلفهما ومعه «فهد» ... وكما اكتشف «أرشميدس» قانون الطفو فجأة، وخرج من حمَّامه يصرخ: وجدتها ... وجدتها ... فقد خرج «أحمد» من غرفة نومه متخذًا قرار السفر.

في مطار «زيورخ» كان في انتظارهم ... أعضاء من نادي الأثرياء (إيجل كلوب) مما ضاعف من دهشتهم، فالمفروض أن رأسهم مطلوبة في «سويسرا» من مافيا تجارة السلاح، ومن جماعة «سايبرسبيس» بعد ما حدث في عملية «شبكة الموت»، تُرى ما السر إذن وراء إعلان خبر وصولهم إلى «سويسرا»؟ وما سبب حضور هؤلاء الرجال لاستقبالهم؟

ومن هم هؤلاء الرجال؟ هل هم من رجال المنظَّمة في «سويسرا»؟ أم أنهم من عصابات المافيا أو جماعة «سايبرسبيس»؟

وهل هم الآن مؤمَّنون حقًّا؟ أم أن عليهم وحدهم مواجهةَ كل الظروف المحيطة بهم؟ إنهم الآن في ملعب الخصم المجروح الذي يطلب الثأر؛ ولأنهم أيضًا يهدِّدون وجوده، لن يتورع عن عمل أي شيء للنيل منهم.

طال سير السيارة الشيروكي بهم بين جبال ووديان ... فلم يُطِق «عثمان» صبرًا، فسأل قائد السيارة قائلًا: إلى أين نحن ذاهبون؟

السائق: إلى قرية «أنماس».

إلهام: وأين تقع هذه القرية؟!

السائق: قرب الحدود مع «فرنسا».

فنظر «فهد» إلى «أحمد» وقال متسائلًا: مستر «زايد»؟!

أحمد: لقد طلبت من مستر «كول» تليفونيًّا استئجار فيلَّا فخمة هناك.

كول: لقد كانت فكرة صائبة؛ فقرية «أنماس» رغم أنها صغيرة إلا أنها مكان جميل هادئ.

كانت «إلهام» تتابع ما يحدث بشغفٍ، ولكن في غيظ ... فحتى الآن لم يكشف لهم «أحمد» عن سر هذا القرار؛ لذا كانت سعادتها كبيرة حينما أخبرهم السائق أنهم وصلوا، وتوقفت السيارة أمام باب حديدي كبير، غارق وسط غابة من الأشجار القصيرة، والكثيفة الخضراء؛ فأضاء السائق الأنوار الأمامية أكثر من مرة، فانفتح الباب تلقائيًّا فدلفت السيارة منه إلى ممرٍّ مرصوف تحيطه الخضرة، وفي آخر الممر توقَّفت أمام سلم عريض، فنزل الشياطين ومعهم مستر «كول» الذي هنأهم على سلامة الوصول ... وطلب منهم وعدًا برؤيتهم صباح اليوم التالي، وتمنَّى لهم أحلامًا سعيدة. واستدارت السيارة عائدة به ومعه السائق.

وكانت الفيلَّا بسيطة التصميم من الداخل، واسعة الغُرَف، وثيرة الأثاث.

ولفت نظر «إلهام» أربعة مقاعد وثيرة تحيط بمائدة مستديرة صغيرة، وبحاسة الأنثى توجَّهت إلى المطبخ، فوجدت في ثلاجته ما لذَّ وطاب فأعدت لهم عشاء وشايًا ساخنًا.

وبعد الثناء على ما فعلَتْ، وتقديرها لحاجتهم الماسة للطعام، طلبت من «أحمد» تفسيرًا لما حدث. وقد كان كلامه منطقيًّا، وخطته بسيطة ومحكمة كالمخترعات الحديثة.

# مستعمرة الروبوت!

كان رأي «أحمد»، في أن جماعة «سايبرسبيس» سيفكرون ألف مرة قبل التعرُّض لهم، رأيًا صائبًا. فمعنى عودته مرة أخرى إلى «سويسرا» بعد قبضه على أحد أعوانهم وعلى مافيا تجارة السلاح، يعني أنه تم تأمينه للغاية، وأن هناك شَرَكًا ينصبه هو ومَنْ معه للإيقاع بمَنْ تبقَّى من الجماعة.

وكان هذا التفسير كافيًا لإقناع الشياطين بصواب فكرته ... ولكنه لم يضَعْ في الحسبان أن «سايبرسبيس» سيفكرون بنفس الطريقة، ولم يكتشف ذلك ... إلا عندما استيقظوا صباح اليوم التالي، فشعروا أنهم ليسوا في نفس المكان الذي كانوا فيه قبل نومهم.

نعم ... إنها نفس الفيلَّا ... نفس الغُرَف ... نفس الأسِرَّة، ولكنها ليست نفس الحديقة. إن فيها شيئًا غير مريح ... غير طبيعي، ولقد اكتشف «أحمد» ما هو أغرب، وهو أن الفيلَّا أصبحت تحت الأرض فمصدر الهواء واحد، وموزَّع بطريقة آلية على المكان. والدليل على ذلك وجود دوامات هوائية في أماكن متفرقة، وكذلك الضوء أيضًا ... مصدره واحد وموزَّع بطريقة العواكس والأوساط الحاملة، ويتضح ذلك من البُؤَر الضوئية المنتشرة في المكان، ورأى «عثمان» أنهم في سجن دخلوه بأقدامهم، وبطريقة ذكية للغاية لقد حضروا للإيقاع بالجماعة، فوقعوا في براثنهم مجتمعين.

فهد: ألم تكن هذه الفيلَّا فوق الأرض؟!

إلهام: يبدو أنه بُرج متحرِّك ... ولكن هل هو سجن حقًّا؟

أحمد: أعتقد أنها مستعمرة ... وأن هناك شيئًا يدور أكبر من عمليات الابتزاز والنصب.

فهد: تقصد أنهم يُقدمون على مثل هذه العمليات للإنفاق على هذه المستعمرة؟! لمعت عينا «عثمان» وهو يقول: نعم إنها فكرة صائبة ... وتفسير لما كان يدور برأسي من أسئلة عن مصير الأموال التي يحصلون عليها.

إلهام: إذا استطعنا التحرُّك بحرية في هذه المستعمرة، فسأريح رأسي مما يدور بها من تساؤلات.

عثمان: أعتقد أننا سنرى أشياء كثيرة عجيبة.

أحمد: علينا ألَّا نسبق الأحداث.

عندما همَّ الشياطين بالخروج من الفيلَّا لم يجدوا منفذًا واحدًا مفتوحًا، فكل النوافذ الزجاجية مغلقة ولا سبيل إلى فتحها، وكذلك الباب الرئيسي والخلفي، ومن الواضح أن التحكم في فتحها وغلقها، يتم من غرفة خاصة داخل الفيلَّا ... ولمعت عينا «إلهام» في هذه اللحظة وقالت: هذه المنافذ يتم التحكم فيها من مكانٍ بعيد!

أحمد: معك حق ... وهذه الفيلَّا مِلْك للمجموعة.

فهد: معنى ذلك أن مستر «كول» هذا الذي ابتاع لك الفيلَّا ... عميل للجماعة ... أو لمافيا تجارة السلاح؟

عثمان: هذا ممكن، ومن الممكن أيضًا أن يكونوا متتبِّعين لمكالماتنا ... وعرفوا برغبة «أحمد» في شراء الفيلَّا، فأوقعوها في طريق مستر «كول».

أحمد: معقول جدًّا، ولكن هذا ليس وقتَ تفسيرٍ.

إلهام: لا أتفق معك يا «أحمد»، فتفسير ما حدث سيحدد لنا مع مَنْ نعمل، وكيف نتعامل معه.

زاغت عينا «أحمد» للحظات، ثم تحرَّك صَوْب إحدى النوافذ الزجاجية، وفحصها بعناية، وقد سمعه «عثمان» يغمغم قائلًا: إنه مستوى مبهر حقًّا من التقدُّم العلمي والتكنولوجي، وعندما سأله عما اكتشفه أشار له محذرًا، فالمكان مُلغَّم بأجهزة التنصت، ومدَّ إصبعه يلمس الزجاج، فتغير لونه إلى الأحمر المشوب بالزرقة، وبدأت تظهر تفاصيل وجه مبتسم، إلى أن اكتملت الصورة ووضحت، ثم اختفت مرة أخرى كما ظهرت بدلًا منها، صورة لقِمَّة جبل تعلوه الثلوج؛ فعلَّق «أحمد» قائلًا: إنها جبال القمة البيضاء.

ثم ظهرت فتحة كبيرة في جانب الجبل تؤدي إلى ممرٍّ مظلم يضيئه كشَّاف متحرك يحمله شخص، لا يظهر منه سوى يده الممسكة بالكشَّاف، وفي نهاية الممر يظهر مكان متَّسع ... وكلما تحرك الضوء فيه ازداد اتساعه، حتى إنهم لم يحددوا نهايته. وهنا قالت «إلهام»: إنهم يعرضون علينا تاريخ هذا المكان.

فهد: وكأنهم واثقون أننا لن نفلت من أيديهم ... ولن نخرج من هذا المكان أبدًا. وهنا ... علا صوت تردد في جنبات الغرفة ... لم يعرفوا مصدره، يقول لهم ردًّا على ما قاله «فهد»: وهل ترون أن هناك فرصةً للخروج من هنا؟

التفت «أحمد» يمينًا ويسارًا يبحث عن مصدر الصوت، وهو يقول: الفرص كثيرة، ولكن ليس هذا وقتَها.

اختفت صورة ماضي المستعمرة، وظهر بدلًا منها ذلك الوجه مرة أخرى، وقد كان منتفخ الأوداج، جاحظ العينين وقال بنفاذ صبر: أرى أنكم تؤمنون بالمستحيل!

أحمد: لا ... بل نحن لا نؤمن به.

الرجل: إذن، كيف تتصورون أن لكم مخرجًا من هنا؟! وعلى أي حال نحن لن نؤذيكم، بل نحن نريدكم معنا هنا.

كان «فهد» في تلك الأثناء قد لَمس بكلتا يديه زجاج إحدى النوافذ الأخرى، وهنا ظهرت معلومات كثيرة على الزجاج ... وكأنه فجأة تحوَّل إلى شاشة جهاز كمبيوتر. يظهر عليها درجة حرارته ومستوى انفعاله، ومعلومات ونصائح وإرشادات عليه تتبعها في تجوُّله بالمستعمرة، وبعدها ... انفتح الباب الزجاجي الوحيد بالغرفة، وعكس ما تصوَّر رجال المستعمرة، لم يتردد الشياطين في الخروج، بل خرجوا وتجولوا بحرية بين مجموعة ضخمة من الغرف الزجاجية المتراصَّة في صفوف متجاورة، وبداخلها حضَّانات لأجنة حيوانات، وأنابيب اختبار ضخمة تحوي كائنات دودية كبيرة الحجم، وغيرها الكثير ... ولكن العجيب في الأمر ... أنهم لم يشاهدوا إنسانًا واحدًا بين هذه الجدران، بل كل ما كان يتحرك ويعمل خلف هذه الأجهزة، هو الروبوت. والمثير في الأمر شعورهم أن أعضاء هذه الجماعة يقرءُون أفكارهم، فكلما همَّ أحد بالتعليق على ما يرى، سمع صوتًا لا يُعرف مصدره يفسر له ما يراه، أو يجيب عن السؤال الذي يدور في ذهنه. وتحير الشياطين ... فكيف سيتفاهمون؟ إنهم يشعرون بهم تحت جلودهم، واضطروا أن يلجئوا للُغةٍ لها أبجديتها الخاصة بهم هم فقط. ولم تمضِ ثوانٍ من الحديث بها، إلا وسمعوا صوتًا غاضبًا يحاول الشوشرة عليهم، ويتوعدهم قائلًا: لقد أبقينا على حياتكم بإرادتنا ... فلا تدفعونا إلى إنهائها بسوء تصرفكم.

فنظر «أحمد» إلى أعلى سائلًا صاحب الصوت: وماذا فعلنا؟

الرجل: إنكم تتحدثون بلغة غير معروفة؟ وغير موجودة في قواميس اللغات. وهذا يعني أنها لغة حركية ... تنوون بها الاتفاق على فعل شيء ضدنا.

أحمد: ولماذا ضدكم؟

الرجل: لأنك لو كنت تتحدث حديثًا عاديًّا، لتحدثت بلغتك العربية، أو أي لغة أخرى معروفة، ولكنك تعرف أن أجهزة الكمبيوتر تعرف كل اللغات.

تبادل الشياطين نظرات الدهشة، فرغم أنهم في مكان مفتوح، إلا أن كل كلمة منهم مسموعة، وكل حركة منهم مرصودة، ولم يتبقَّ لهم غير لغة العيون التي لم تستغرق منهم

سوى ثوانٍ محدودة وكانوا قد اتفقوا، فأخرجوا أدق أجهزة الإشارة والشوشرة الإلكترونية، وتفرقوا فجأة في أماكن عدة. وفي توقيت واحد، كانت كل أجهزتهم تعمل، وثارت ثائرة العاملين بالمستعمرة، وعلا بين جنباتها طنين يُصم الآذان، وتوترت حركة أجهزة الروبوت. مما أعطى فرصة للشياطين أن يجتمعوا خلف إحدى الغرف الزجاجية، وكانت عبارة عن أنبوب ضخم مظلم في ارتفاع مبنًى من ستة طوابق.

وطلب «أحمد» من الشياطين إيقاف عمل الأجهزة لدقائق، وبعدها اختفى الطنين، وتوقفت حركة كل الأجهزة في المستعمرة، مما أثار دهشة الشياطين. فهل أجهزة الإثارة قد أصابت دوائر التحكم في أجهزتهم بخلَل ما أو بعطلٍ؟

أم أن مولدات الطاقة قد توقفت عن العمل؟

قال «عثمان»: مستحيل! فمستعمرة مثل هذه من المؤكد أنهم سيوفِّرون لها أكثر من مصدر للطاقة، وما حدث بعد ذلك لم يُعطِ فرصة لأحد للتعليق على كلام «عثمان»؛ فقد انفتحت الغرف الزجاجية، وخرجت أجهزة الروبوت تسير في اتجاهات متفرِّقة، ماسحة لجنبات المستعمرة ... والشياطين يتابعونها في ذهول. ولم تمضِ غير ثوانٍ ... إلا وقد عثروا عليهم، فتحركوا في اتجاههم، وشعر «أحمد» بخطورة المأزق الواقعِين فيه، فأجهزة الروبوت هذه خطيرة، وإمكانياتها الحركية كبيرة، هذا بالإضافة إلى أسلحة الليزر التي تزود بها. يُضاف إلى ذلك كثرة عددها، ولم يكن هناك مفر من تشغيل أجهزة الشوشرة، والتي جعلتهم يتحركون حركة عشوائية، وبدأت ترتفع أصوات اصطدامهم بجدران الغرف الزجاجية، إلا أنها كانت من زجاج مصفَّح ... فلم تتحطم، وكان هذا أمل «أحمد»؛ لأنه يريد من ناحيةٍ تكبيدَهم خسائر فادحة، فيضطرهم للظهور مجتمعين، وينتهي منهم.

ومن ناحية أخرى، كان يريد الاطلاع على ما يقومون به من أبحاثٍ وتجاربَ، ولم يعُدْ في حوزته غير أجهزة الإنارة ... وهي أجهزة تولِّد موجات كهرومغناطيسية قصيرة جدًّا، ذات ترددات عالية، تُكسب دوائر أجهزة الروبوت طاقةً زائدة. وقد دفعها ذلك لتوجيه مدافع الليزر المزوَّدة بها، إلى أبواب المعامل فتحطمها. وبالطبع ... أصاب الكثير من هذه الأشعة، كثيرًا من أنابيب الاختبار. والحضانات الزجاجية فأحدثت بها ثقوبًا. وبسبب حركتها العشوائية اصطدمت ببعضها؛ فتحطَّمت وتناثرت منها أجزاء تسبَّبت في عرقلة الأجهزة الأخرى.

كانت هذه أعظم فرصة للشياطين لكي يدخلوا إلى المعامل الزجاجية، ويطَّلعوا بحذرٍ على ما بها.

وكان الكثير من هذه الأجهزة ملحقًا بها ميني كمبيوتر. وبمهارة فائقة، استطاع «أحمد» تشغيل بعض هذه الأجهزة، والدخول إلى برامجها ... والاطلاع على ما بها، وكانت معظم هذه التجارب في مجال الهندسة الوراثية ... وعلى شاشة أحد الأجهزة الذي استطاعت «إلهام» تشغيله ... رأت ست صور مكررة لشاب في العشرين من عمره. وأسفل هذه الصور ... جدول يحوي حسابات خلوية وجينية. وبعد قراءة متعمقة، استطاعت «إلهام» أن تتوصَّل إلى طبيعة هذه الأبحاث والهدف منها، في الوقت الذي كان فيه بقية الشياطين قد توصَّلوا لنفس النتيجة ... إنها أبحاث في مجال الاستنساخ وهي تكنولوجيا جديدة في مجال الهندسة الوراثية، قام بها العلماء بدمج نواة خلية مأخوذة من نعجة أطلقوا عليها اسم «دُولِّي» ... ببويضة منها أيضًا ... وأدَّى ذلك لأن تحمل وتلد نعجة أخرى لها نفس صفاتها، أي نسخة أخرى منها ... لذا أطلقوا على العملية اسم «الاستنساخ»، ولكنَّ تساؤلًا ألمَّ بهم سويًّا فجأة، وشعر «عثمان» أن ما يفكر فيه يدور في رءوسهم جميعًا.

فأشار على الأنبوب الضخم المظلم قائلًا، والكل ينظر له: وماذا في هذا الأنبوب؟

# الفقاعة العملاقة!

شعر «أحمد» بجلبة وبأصوات أقدام تأتي من بعيد، فمسح المكان بعينه، فوجد فقاعة زجاجية كبيرة غير شفافة مقلوبة وقاعدتها مفتوحة، فبحث عن مكان مناسب لها، وطلب من الشياطين الثلاثة مساعدته في زحزحتها إلى هذا المكان وشرح لهم ما ينوي عمله، ثم بحث بين مكونات أحد الروبوتات الملقاة على الأرض، عن مولِّد ليزر، ولكن أصوات الأقدام اقتربت إلى حدٍّ يُنذر بالخطر ... فطلب من «عثمان» مساعدته في قلب تلك الفقاعة العملاقة، فلم يتمكَّنا حتى مع مساعدة «إلهام» و«فهد»، فطلب من «فهد» أن يشبك يديه، ثم وضع عليهما إحدى قدميه، ودفع نفسه لأعلى ... ليهبط على حافتها، فاهتزَّت بشدة وبقية الشياطين يدفعونها من أسفل لتزداد سعة الاهتزاز مع زيادة اقتراب صوت الأقدام، وزيادة توتر أعصابهم.

وقبل أن تنقلب على فتحتها، كان الشياطين الأربعة يقفون متجاورين في مركز السقوط وعلا صوت اصطدام حافتها بالأرض، فأظلمت الدنيا على الشياطين وهم بداخلها، وساد الصمت، وانقطعت صلتهم بالعالم الخارجي.

عندئذ شعرت «إلهام» بخطورة موقفهم، فهذه الفقاعة لا تسمح بمرور الصوت، معنى ذلك أنهم لن يعرفوا ما يجري بالخارج، وبالتالي لن يستطيعوا تحديد ميعاد خروجهم. هذا بالإضافة إلى أنها لا تسمح للهواء بالمرور، معنى هذا أن كمية الأكسجين حولهم لن تكفيهم إلا لدقائق معدودة. وعندما همَّت أن تصرح بذلك للشياطين قال لها «أحمد»: أعرف ما يدور في ذهنك، وأنا أشعر بسخونة الجو هنا، ولكن لم يكن أمامنا خيار آخر، فلا يمكن أن نفِرَّ ونترك كثيرًا من الألغاز هنا لم تُحل.

وعلا صوت اصطدام أجسام معدنية بجدار الفقاعة، فقال «عثمان»: لقد وصلوا وهم يبحثون عنا الآن.

ازداد الجو سخونة ... وبدأ الأكسجين يقل داخل الفقاعة، فقد شعروا بالدقائق تمر بطيئة، والكل ينظر لـ «أحمد» في انتظار قراره. فما كان منه إلا أنه قال: إذا وصلَتِ الأمور إلى درجة الموت اختناقًا، فسأفضِّل وقتها تسليم أنفسنا لهم.

وفي هذه اللحظة ... مرَّ شعاع ليزر بجوار رأسه ليثقب الفقاعة مرتين، وهو داخل، ثم وهو خارج.

مما أعطى فرصة للشياطين ليسمعوا ما يدور بالخارج، وقد كان هناك نقاش حول وجود هذه الفقاعة في هذا المكان، وهل كانت مقلوبة هكذا؟ وعن احتمال وجود الشياطين تحتها، ومر شعاع ليزر آخر في منتصف الفقاعة، فأشار «أحمد» لهم أن ينبطحوا أرضًا قبل مرور المزيد من الأشعة.

ولولا الظلام حولهم لاكتشفَتْهم الأعين التي كانت تتلصَّص عليهم من خلال الثقوب، وصدر أمرٌ للموجودين بإبعاد الفقاعة فورًا من المكان.

وجلس الشياطين القرفصاء ينظرون ما ستُسْفر عنه اللحظات القادمة، و«أحمد» يعد مولد الليزر الذي خلعه من أحد أجهزة الروبوت، ليستخدمه كسلاح للدفاع عنهم. وبالثقوب المنتشرة على جدار الفقاعة، بدأ رجال العصابة يثبِّتون خطافات حديدية استعدادًا لرفعها، وكان «أحمد» كلما ثبتوا خطافًا ... سلط حوله شعاع ليزر ... فيلين الجزء المحيط بالخطاف، وهكذا فعل مع كل خطاف. وحينما همَّ رجال العصابة برفع الفقاعة، انفلتت كل الخطافات من الثقوب؛ لأنها لم تجد حافةً تتشبَّث بها.

وسمع الشياطين أصوات جلبةٍ ونقاشٍ حاد، فعرفوا أن صبرهم قد نفد وهناك احتمال أن يتصرفوا بحماقة، ولكن ما حدث كان عكس ذلك ... فقد انصرفت المجموعة كلها، وتأكد «عثمان» من ذلك من خلال أحد الثقوب. وبعد التأكد من عدم وجود أحد سلط «أحمد» شعاع ليزر على جدار الفقاعة ورسم به دائرة كبيرة، ففتح فتحة باتساعها، بالكاد تكفي لخروجهم فرادى.

وبالفعل خرج الشياطين تتقدمهم «إلهام»، ولم يتبقَّ منهم أحد بالداخل إلا «أحمد» الذي سمع صوتَ مَنْ يقول للشياطين: أهناك المزيد بالداخل؟

وفي سرعة قال الثلاثة: لا.

الرجل: إذن ارفعوا أيديكم مستسلمين.

ثم نادى على رجل معهم يُدعى «مايكل» فأمره بتفتيشهم، ثم وضع القيود في أيديهم إلا أن طريقة حديث الرجل لم تعجب «إلهام». فانتظرت حتى وجَّه لها الحديث، وأصبحت عيناه في عينيها، فنظرت خلفه وابتسمت، كأن هناك مَن يحميها، فدفعه فضوله وخوفه

للالتفات خلفه، فعاجلته بضربة قوية أسقطت المسدس من يده بجوار «فهد» الذي ركله بعيدًا، وهنا خرج «أحمد» من الفقاعة، موجهًا بندقية الليزر إليهم، طالبًا منهم التسليم. ورغم أنه قبض عليهم جميعًا إلا أنه كان يعرف أنها ليست آخر المعارك، فالعمل يتم تحت رقابة إلكترونية دقيقة، وهناك من يتابع ما يحدث دون تدخُّل، ولكن يملك التدخل وقتما يريد.

كان عليه اتخاذ قرار سريع لتأمين المجموعة من جهة، والوصول إلى حل لغزِ هذا المعمل والقبض عن طريقه على «سايبرسبيس» من جهة أخرى. ولم تكن لديه قاعدة أفضل من الفقاعة الزجاجية، التي قاد إليها مجموعة رجال المعمل، وتركهم في حراسة «فهد» الذي سد بهم الفتحة الكبيرة التي دخلوا منها، وجلس على الأرض موجهًا مسدسه إليهم، وبصعوبة تحرَّك بين شظايا وحطام أجهزة الروبوت التي كانت مُلقاة على أرض المعمل، ومن خلفه «إلهام» و«عثمان» وفي ذهنهم هدف واحد، هو معرفة ما بالأنبوب العملاق، قبل التفكير في استدعاء «سايبرسبيس».

لم يكن الأنبوب محاطًا بأية أجهزة تأمين أو حراسة ظاهرة، ولكن الحذر دفع الشياطين للتأكد من عدم وجود حوائط إلكترونية أو ستارة مَوْجية، تنصح مَنْ يخترقها، فأخرج «عثمان» كرته الجهنمية، وأطلقها لتصطدم بالأنبوب وتعود دون حدوث أي رد فعل.

إلا أن هذا لم يكن مؤشرًا لعدم وجود هذه الستائر، بل من الممكن أن يكون عملها متوقفًا على الاصطدام بأجسام بشرية، أو خلايا حية ... أو أي أجسام معدنية ... وكُرة «عثمان» لا هذا ولا ذاك، بل هي من المطاط الخالص ... فتبادل الشياطين نظرات متسائلة عمن سيُقدم على ذلك الاختبار، وهل من الصواب القيام به؟ ودارت برأس «أحمد» فكرة لم يستطعِ التخلص من إلحاحها عليه، فقرَّر أن يصارح بها «إلهام» و«عثمان» فلوَّح لهما ببندقية الليزر، مما دفع «إلهام» لرفع صوتها في انزعاج قائلة: لا يا «أحمد» ... فقد يكون به غازات قاتلة، أو أجسام مشعَّة.

عثمان: لا أظن ذلك.

ثم التفت إلى «أحمد» قائلًا: نفِّذ يا «أحمد».

إلا أن «أحمد» رأى أنه قد لا يجانبه الصواب في قراره، بما قد يسبب كارثة دون أن يقصد، فآثر العودة للبحث عن البرج الذي حملهم لهذه القاعدة، وقد كان الوصول سهلًا حيث تتبَّع شظايا أجهزة الروبوت، ورأى عن بُعدٍ شابَّين متطابقي الطُّول والحجم،

يدخلان من باب المراقبة لهم. فشعر أن البرج سيتحرك، فطلب من «عثمان» العودة للبقاء مع «فهد»، ولحق هو بالبرج ومن خلفه «إلهام». ولسهولة دخوله البرج وخروجه منه ظن أنه مراقب، وأن هناك من أعطاه الفرصة للتحرك بحرية للوصول إلى هدفٍ ما.

لكن لم يعبأ كثيرًا بذلك، بل قرَّر استخدام أول سيارة يقابلها.

وقد كانت هناك سيارة شيروكي تتبع المقر، فقفز فيها ومن خلفه «إلهام» وانطلق يقطع الطريق إلى «نيوشاتيل» حيث يقع نادي «إيجل كلوب» على قمة جبل «فاسرنجرات»، ولاحظ عن بُعدٍ سيارة تتبعهما فشعر بسعادة شديدة، ونشاط يدب في أوصاله، فها هو مُقدم على الاحتكاك المباشر ببشَرٍ؛ فقد سَئِم صراع الآلات. وحتى لا يلفت نظرهم إلى أنه لاحظهم لم يغيِّر من سرعة سيارته، ولكن انحرف مع أول منحنًى قابله، ثم نظر اشتباك فروع بعض الأشجار الكثيفة الخُضرة، واندفع فيما بينها، وأوقف موتور السيارة ونزل منها يقفز على أصابعه كراقصي الباليه، ومن خلفه «إلهام» لا تقل عنه مهارة.

وتابعا السير إلى أن وصلا إلى الطريق الرئيسي فافترقا ... كلٌّ في جانب ... ولما عن بُعد السيارة التي كانت تتابعهما تقترب بسرعة، فاتَّخذا من شجرتَين متقابلتين موقعًا للانقضاض ... وحين أصبحت السيارة في مركز سقوطهما، هبطا كالصاعقة على مَنْ بالسيارة، وبعد صراع قصير ... كادت فيه السيارة أن تصطدم بإحدى الأشجار، استسلم من بها، وكانت المفاجأة المثيرة لهما أن الشابَّين توءَمان، وعلى الجانب الأيمن من الطريق، انحرف «أحمد» بالسيارة متوقفًا، وبدأ استجوابهما وبالطبع لم يدليا بمعلومات مباشرة، ولكنه استطاع أن يصل إلى كل ما يهمه وما يريده بسهولة.

وعرف أنهم سيدَعونهم يتحركون بحرِّيةٍ ... حتى يصلوا إلى كل مَنْ خلفهم ويحركهم، وفي هذا الوقت فقط سينقضُّون عليهم، فدفع هذا الكلام «إلهام» أن تتصل بـ «فهد» و«عثمان» لتطمئنَّ عليهما. في الوقت الذي حاول فيه «أحمد» عن طريق الكمبيوتر الخاص به أن يتصل بـ «بيتر» على شبكة الإنترنت أيضًا للاطمئنان عليه، ولمعرفة الجديد لديه؛ فعرف منه أن أخوَين له في مصر قد دعوَاه إلى قضاء إجازته الصيفية بين أحضان الطبيعة والآثار وأجمل شواطئ الدنيا، وأنه وافق من حيث المبدأ فسأله عن جماعة «إس. إس» أو «سايبرسبيس»، وإن كانت هناك رسائل أو اتصالات بينهم عبر الشبكة، استطاع «بيتر» الدخول عليها في الفترة الأخيرة، فعرف منه أنهم عقدوا اجتماعًا أطلقوا عليه «الأخير» على الشبكة، واتفقوا فيه على استدراج الصيد للثلاجة، وأنه لم يستطعْ تخمين مَنْ هو الصيد؟ ولا ما المقصود بالثلاجة؟ ... هنا فقط عرف «أحمد» أن استدراجهم للفيلَّا كان مخططًا له.

أيضًا أخبره «بيتر» أن هناك حادثًا ما أو مناسبة هامة لهم، سيجتمعون لأجلها فيما يسمى بـ «التاج».

وكانت هذه آخر معلومة يبثها «بيتر» قبل أن ينتهي اللقاء بينهما، وقد تركت «أحمد» في حيرة وتحفُّز، وأصبح من المهم معرفة أين سيجتمعون؛ فهو لا يعرف ماذا يعنون بـ «التاج»!

وما المناسبة التي سيجتمعون لأجلها؟ وهنا شعر أنه يحتاج لـ «إلهام» ... فعاد إليها وكانت تحرس التوءمين فطلبت منه تقييدهما، ثم سألته عما تم فحكى لها، فرأت أن المقصود بالتاج، هو مكان يجتمع فيه الصفوة، أما المناسبة ... فلها أكثر من تفسير، الأول ... القبض عليهم، والثاني ... الانتهاء من «بيتر». أما الثالث ... فهو احتمال إزاحة الستار عن عمل علمي ضخم أو اكتشاف أو اختراع أو نجاح تجربة!

أحمد: إذا كان الأمر كذلك ... فأنا أرجح التفسير الثالث.

إلهام: نجاح تجربة؟

أحمد: نعم.

إلهام: لقد دمَّرنا لهم المعمل.

أحمد: إلا أضخم أنبوبة اختبار.

إلهام: تقصد أنها أهمُّ ما في العمل؟

أحمد: إن كل ما في المعمل يخدُمُها، ويكفي المستوى غير العادي لأجهزة حمايتها!

إلهام: وماذا يكون داخل هذا الأنبوب؟

أحمد: أحدث ما توصلت إليه الهندسة الوراثية.

# الاختطاف!

كان التوءمان مقيدَين في الكابينة الخلفية للسيارة، و«أحمد» جالس أمام عجلة القيادة وبجواره «إلهام»، وكان الحديث متصلًا بينهما، ولم يمسَّ مفتاح التشغيل أو عصا تغيير السرعة ... ولم تلمس قدماه غيرَ الدواسة. ومع ذلك تحركت السيارة، وسط دهشته هو و«إلهام». ولم يظهر على وجهي التوءمين أي رد فعل، مما يدل على أن ما حدث ليس جديدًا بالنسبة لهما، ولم يقف الأمر عند مجرد تحركها فقط، بل إنها انحنت عند أول منعطف بمهارة، وتفادت أكثر من عائق بسلاسة، وكأنَّ من يقودها سائق ماهر. وهنا صاحت «إلهام» قائلة: التوجيه عن بُعد ... وحوادث اقتحام محطات الأقمار الصناعية، أليس كذلك؟

أحمد: المهم إلى أين نحن ذاهبون؟

إلهام: هل عجلة القيادة معطَّلة؟

أحمد: حتى ولو كانت تعمل ... فلن أغير اتجاهها.

إلهام: هل تظن؟

أحمد: نعم.

والتفت خلفه يسأل التوءمين، فلم يُجب أحدٌ منهما، فسأل «إلهام» عما يمكن عمله؟ — وكانت هي الأخرى مندهشة لما يحدث — فطلبت منه أن يختبر عجلة القيادة ... فلم يجد لها علاقة بالسيارة، وتحت سفح جبل «فاسرنجرات» توقَّفت. ومن خلفها تحركت سيارة أخرى كانت تختفي بين الأشجار، حتى جاورتها؛ فنزل منها التوءمان مما جعل «إلهام» تنظر إلى «أحمد» وتبتسم.

وانتبهت على صوتِ باب السيارة يُفتح، وأمرٍ يصدر لها بالنزول هي ومَنْ معها، وبعد مسيرة عشرة أمتار، ظهرت طائرة هليكوبتر كانت تختفي أيضًا بين الأشجار فدُفع فيها الشيطانين دفعًا، وأُغلق خلفهما الباب.

وكان يجلس أمام عجلة القيادة شابان، ما إن التفتا إليهما حتى بهَتا، فقد كانا التوءمين.

فتساءل «أحمد» قائلًا: ألم نصعد وحدنا؟

إلهام: نعم.

أحمد: ألم يقودانا حتى باب الطائرة فقط؟

إلهام: نعم.

أحمد: فما الذي أتى بهما إلى هنا؟!

إلهام: أتظن أن هناك موجات كهرومغناطيسية تؤثر على تركيزنا ووعينا؟

أحمد: هذا يتطلب أن تضعِي جهازًا بجوار جمجمتك؛ ليكون التأثير مباشرًا على المخ.

إلهام: مثل التليفون المحمول؟

أحمد: نعم.

بعد أن صعدت الطائرة، دارت دورة واسعة حول قمة جبل «فاسرنجرات» أحد جبال القمة البيضاء. كان المنظر رائعًا من أعلى، إلا أن «أحمد» لم يستمتع به طويلًا ففي رأسه آلاف الأسئلة. فلماذا يتركه مختطفوه هو و«إلهام» بلا حراسة؟ ... أليس في مقدروهما الآن الانقضاض عليهما، واختطاف الطائرة؟! وحين سأل مختطفَيْه هذا السؤال أجابه أحدهما قائلًا: وماذا بعد الاختطاف؟ وإلى أين سنقود الطائرة؟ إنها مجهَّزة للتوجيه عن بُعد، إذا تعرضت للاختطاف.

أحمد: وإن طلبت منك تحت تهديد السلاح تغيير مسارك؟

القائد: تحت أمرك، ولكن إلى أين؟

فأخرج سلاحه وقال له: إلى نادي «إيجل كلوب».

فقال القائد مبتسمًا: نحن بالفعل ذاهبون إلى هناك.

ومن بين قمم الجبال ... رأى «أحمد» قطار الكابل الصلب (التلفريك) يصعد إلى قمة الجبل، ويدخل في محطة معدَّة له، فطلب من قائد الطائرة إنزاله عليها.

فاعترض الرجل قائلًا: رجالنا في كل مكان على سفح الجبل، ولن تُفلت منا، ابقَ معي إلى نهاية الرحلة ولن تندم، وها نحن قد وصلنا. وعلى «باب النادي» كان مستر «كول» يقف

منتظرًا «أحمد». وبمجرد هبوطه من الطائرة، توجَّه إليه فاتحًا ذراعيه فاحتضنه، و«أحمد» يجاريه في كل ما يفعل، ثم سار معه ليقدمه إلى مجموعة من الرجال شديدي الأناقة وتبدو عليهم الفخامة، وقد لاقت «إلهام» ترحيبًا شديدًا، وأحاطت بها نظرات الإعجاب، مما دفع «أحمد» لأن يعجِّل بسؤال مستر «كول» قائلًا: ما الذي يحدث مستر «كول»؟!

كول: لا أفهم مستر «زايد»، هل أنت غير مرتاح في «أنماس»؟ دعنا ... نبحث لك عن مكان آخر ... وليكن بجوارنا هنا على أطراف «نيوشاتيل».

شعر «أحمد» أن الرجل صادقٌ في كلامه، وأنه لا يعرف شيئًا عما يتم، فلم يوضح له شيئًا عما يحدث في الفيلَّا، ولكنه سأله عن طريقة إحضاره إليهم قائلًا: لقد أتينا مختطَفين.

كول: كيف؟ تقصد احتياطات الأمن الزائد؟ ثم أكمل قائلًا: مستر «أحمد» ... أنت رجل مال، وهذا يدفع البعض للتصرف بشكل غير لائق، ونحن علينا أن نحميك من كل هذا. وخزت الساعة في رسغ «أحمد» فلم يستطع التصرف، رغم أنه يعلم أن هناك رسالة له، فأكمل حديثه مع مستر «كول»؛ إلا أن وخز الساعة ازداد بشكل ينبئ عن أن الرسالة عاجلة وملحَّة.

فطلب الذهاب إلى دورة المياه، بعد أن أشار لـ «إلهام» ليخبرها عن الرسالة، فجلست متوترة تنتظر عودته لتطمئن إن كان هناك خطر أم لا، إلا أن حيرتها ازدادت بعد عودته ... فقد كان هادئ القسمات؛ مما لا يدل على أن هناك شيئًا هامًّا، ولولا أنها تعرف حكمته وقوة أعصابه؛ لصدقت ما تقوله ملامحه ... لذا فقد ظلت متوترة، حتى استطاعت أن تنفرد به وتسأله عن الرسالة. فعرفت أنها من «فهد»، وأنه يحتاجهم معه هو و«عثمان»، وقد كانت الرسالة عاجلة ولم يوضح فيها موقفهم الحالي.

ورغم انشغالهم بالرسالة إلا أنهم لاحظوا أن أعضاء النادي ينسحبون فُرادى، حتى مستر «كول» اختفى فجأة ولم يعُد له وجود.

ولم يتبقَّ غيرُهما والحارسان الواقفان على بوابة النادي الرئيسية والبوابة الأخرى مغلقة، فآثر أن يسألهما عما يحدث، فدفعاه للداخل ولم يجيباه عن شيء، ومن هنا نبتت فكرة استخدام العنف معهما، فقد خرجت إليهما «إلهام» تحاول مغادرة النادي، وحين حاول أحدهما دفعها، رآها تطير في الهواء، ولم يشعر بعدها إلا وهو ملقًى على ظهره على بُعد أمتار كثيرة، وزميله يتأوَّه بين يدي «أحمد» وعلى زلَّاجات الجليد جلسا، ثم دفعا الأرض بالعصا، وهبطا منحدرًا جليديًّا أسفل النادي، حتى أصبحا على قارعة الطريق، فأسلما ساقَيهما للريح، حتى سمعا صوت سيارة تقترب منهما، فأشارا لها إلا أنها لم تتوقف، وحاولا مع غيرها وغيرها، فلم يجدا بدًّا من العودة للجري مرة أخرى، إلا أن سيارة

فاخرة سارت بجوارهما، وعرضت عليهما سائقتها أن توصلهما؛ كانت فتاة خمرية اللون، ذات ملامح صينية، وتعجبت «إلهام» لذلك، فالصين دولة شيوعية، ولا يعيش أبناؤها حياة البذخ هذه، فما الذي أتى بهذه إلى «سويسرا» وأركبها هذه السيارة؟! ولم تتحادث مع نفسها كثيرًا، فقد قررت الركوب معها، وبالطبع تبعها «أحمد» مضطرًّا مُحترمًا لقرارها، فالتفتت إليهما الفتاة مبتسمة، ولم يسعدهما الحظ برؤية ابتسامتها طويلًا … فقد دخلت السيارة في نفَق مظلم وغابت فيه لفترة بين ترقب «إلهام» وتحفُّز «أحمد».

إلا أنها خرجت إلى النور مرة أخرى، ولكن بعيدًا عن «نيوشاتيل».

وشعر «أحمد» أنه يريد أن يفهم ما يحدث، فسألها إن كانت تتحدث الإنجليزية؟ فوجدها تتحدثها بطلاقة … فسألها عن ذلك النفق الذي عبروه، فلم يكن به غيرهم، وقد كان مظلمًا مما يدل على أنه لا يُستعمل إلا لأغراض معينة.

فقالت الفتاة: أنا لا أعرف شيئًا عن ذلك، فكل ما أعرفه أنه موجود منذ فترة، ونحن نستخدمه لاختصار الطريق.

أحمد: أنتم مَنْ؟

الفتاة: نحن أهل المنطقة.

أحمد: وهل أنتِ من أهل المنطقة؟

الفتاة: لا … لقد أتيت للعمل.

أحمد: في أحد الفنادق؟

الفتاة: لا في نادي من الأندية المتميزة.

إلهام: إيجل كلوب؟

الفتاة: نعم.

أحمد: مع مستر «كول»؟

فترددت الفتاة قليلًا قبل أن تجيب، ثم قالت في حذرٍ: نعم.

أحمد: ولما تتحرجين من الإجابة؟ … أهي أسرار؟

الفتاة: أظن ذلك، فهو معروف لدينا باسم مستر «فولف»، لكني سمعت من يناديه ذات يوم باسم «كول» في أحد اجتماعاتهم بفندق القصر، ولم أرَ هذا الرجل مرة أخرى وقد سمعت أنه قُتل.

«إلهام» في دهشة: قُتل لأنه ناداه باسم «كول»؟!

شعرت الفتاة أنها انزلقت إلى الحديث عن أسرار يجب عدم البوح بها، إلا أنها — وتحت إلحاح الشياطين — أكملت قائلة: لقد كان الاجتماع مع مجموعة من الرجال من

إحدى الدول العربية، ومن المفروض أن هناك صفقة ما ستتم بينهم، إلا أن مستر «كول» عرف أن هناك من حذَّرهم من التعامل معه، فالتقى بهم في الفندق تحت اسمه المعروف به هنا «فولف»، وطلب من جميع موظفيه عدم ذكر اسمه الحركي أمامهم، وفي الفندق — وهم مجتمعون — سمع أحد موظفيه الكبار يناديه بـ «كول» فلم يلتفت إليه إلا أنه بعد فترة كرَّرها ثانية، وناداه بنفس الاسم، وحينما لم يلتفت إليه ... اقترب منه، وربَّت على كتفه يناديه بـ «كول»، وبعد ذلك ظهر على ضيوفهم من العرب عدم الارتياح، وعرف أنهم لن يتمُّوا صفقتهم معه، وشك في هذا الموظف الذي حاول الهرب أثناء الاجتماع، لكنهم ضيقوا عليه الخناق، ولم يعطوه فرصة للخروج. وفي آخر السهرة وبعد أن انفض الاجتماع، قادوه إلى المستعمرة ... وقتلوه.

أحمد: المستعمرة التي في قرية «أنماس»؟

ولم تُجب عليه الفتاة، وحاولت أن تكتفي بما قالت، إلا أنها كانت قد فتحت عنده ألف طريق لألف سؤال.

فسألها قائلًا: ولماذا يقتلونه في المستعمرة، ولم يفعلوها هنا بين الجبال مثلًا؟

الفتاة: لكي يستجوبوه.

أحمد: وبالطبع لن يجيب بسهولة عما يريدون معرفته، ويستخدمون معه أساليب مختلفة لإقناعه.

الفتاة: هذا ممكن!

نظرت «إلهام» نظرة عميقة، وكأنها فهمت ما يدور في ذهنه.

قالت له باستنكار غير مصدقة: الأنبوب العملاق؟

أحمد: نعم.

إلهام: يحتفظون بجثة في محلول ما؟

أحمد: أو يحتفظون به حيًّا مع آخرين، ولكن بعد حقنه بعقار ما يدخله في غيبوبةٍ دائمة، ويستفيدون بجسده وأعضائه في أبحاث الهندسة الوراثية.

إلهام: أو تجارة الأعضاء.

وهنا ... نظرت إليهما الفتاة في فزعٍ.

مما دفع «أحمد» لأن يسألها قائلًا: إنه نشاط المنظَّمة التي تعملين معها أليس كذلك؟

الفتاة: أنا لا أعمل مع منظَّمات.

إلهام: ولماذا إذن تحملينا إلى «أنماس»؟
الفتاة: إنه طلب مستر «كول».
«أحمد» مندهشًا: إذن فقد كان يعرف أننا سنهرب؟!

# الانفجار الرهيب!

شعر «أحمد» أن الطريق إلى «أنماس» يستعدُّ لاستقبال حدَث خطير، فعلى جانبي الطريق وقفت سيارات المراقبة، وخلف عجلات قيادتها يجلس سائقوها في حالة استعداد؛ ممسكين بأجهزة اتصال حديثة، ومن فوق السيارات طائرات الهليكوبتر تمسح المنطقة ذهابًا وإيابًا.

فعبَّر عن دهشته لـ «إلهام» قائلًا: إن جماعة «سايبرسبيس» لهم نفوذ كبير!

قالت «إلهام»: والحدَث الذي سيقع الليلة وضحت أهميته من هذه الاستعدادات، وعلينا الآن — وليس بعد الآن بدقيقة — أن نأخذ وضع الاستعداد للانقضاض.

أحمد: معك حق، وسأقوم بالاتصال بـ «فهد» و«عثمان» للتنسيق معهما. وعندما همَّ بالضغط على زرِّ الاتصال بساعة يده، شعر بها تَخِزه في رسغه، فعرف أنها رسالة من المستعمرة ... وعليه تلقِّيها، وكانت تقول: اللآلئ كلها في العقد، نحن لسنا بين أيديهم، ولكننا تحت أعينهم.

سأله «أحمد»: وماذا عن البرج؟

قال «عثمان»: إنه مفاجأة الليلة، واتفقا سويًّا على فتح قناة اتصال بالشفرة بينهما لإدارة العملية كلٌّ من موقعه. وكان هذا يتطلب عدم اقتراب «أحمد» أو «إلهام» من المستعمرة أكثر من ذلك؛ ليكونا بعيدين عن مرمى النيران المباشر لأعوان «سايبرسبيس»، وكانت هذه مهمة «إلهام»، التي اقتربت من الفتاة الصينية إلى حدِّ الالتصاق، ثم قالت لها بلغة إنجليزية بارعة: أنا فتاة مثلك، وسأُسْدِي لكِ في هذه الظروف الحرجة نصيحة، فهل تسمعينها مني؟

فتظاهرت الفتاة بالسذاجة، وأجابت وهي تومئ برأسها قائلة: نعم.

قالت «إلهام»: أنا عضوة منظمة، ومحترفة لأكثر من رياضة من رياضات الاشتباك، وإذا أردت أن ألقيكِ من السيارة وهي سائرة ... فسأفعل.

ولم تُكمل «إلهام» حديثها، فقد انحرفت بالسيارة في زاوية ضيقة للغاية حتى كادت تنقلب بهم، في الوقت الذي سددت فيه لـ «إلهام» ضربة بسيف يدها، أطاحت بها من على مقعدها، إلى المقعد الخلفي، ثم دارت بالسيارة حول نفسها أكثر من دورة، وبسرعة كبيرة فلم تتمكن «إلهام» ولا «أحمد» من حفظ توازنهما، فطارا من السيارة ... غير مصدِّقَين لما حدث.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل جعلت تدور بالسيارة حولهما محاولة صدمهما، ولولا رباطة جأش «أحمد» لوقع هو و«إلهام» أمام السيارة. إلا أنه رأى أن ما تفعله سيكون من مصلحتهما، لكي تنشغل هي بمطاردته، فيعطي بذلك فرصة لـ «إلهام» للتدخل وإنهاء الصراع لصالحهما.

فاستجمع «أحمد» كل قواه وأسلم ساقيه للريح، ومن خلفه سيارة الفتاة الصينية تزمجر وصوت فراملها يعلو على صوت محركها. وما لم تحسب له حساب، هو تسلقه لأحد الأشجار في سرعة ومهارة أدهشتها، حتى إنها لم تستطع عرقلته قبل الوصول إلى قمَّتها. وفي هذه اللحظة كانت «إلهام» قد حسبت حساباتها، فجرت في اتجاه السيارة ... حتى أصبحت أسفل الشجرة القاطن فوقها «أحمد». وهنا نزلت الفتاة من السيارة، ووقفت تستعد للانقضاض عليها، ومظهرها يوحي بأنها إنسانة ذات قدرات خاصة، مما أثار لدى «إلهام» رغبة عارمة في الاشتباك معها، وردِّ ما فعلته فيها.

رأى «أحمد»، الذي كان يتابع الموقف من مخبئِه، ألا يتدخل إعمالًا لمبدأ تكافؤ الفرص من جهة. ومن الجهة الأخرى ... لاحظ أن هناك من يترقب نتيجة ما يدور، دون تدخُّل، مما يعني أنهم واثقون في قدرات هذه الفتاة، وينتظرون انتهاء المعركة للقبض عليها، وعلى مشط قدمها دارت «إلهام» أكثر من مرة، وفي كل دورة ترسل قدمها الأخرى قذيفة لتطيح بالفتاة، حتى أصابها الإعياء وآثرت الاستسلام لها.

وهنا هبطت طائرة هليكوبتر كانت تحلِّق في سماء المنطقة بالقرب منهما، وخرج رجل يأمر «إلهام» بحمل الفتاة إلى داخلها، فانحنت «إلهام» لتحملها، وسارت بها بضع خطوات وهو من خلفها يسير في حذرٍ، شاهرًا مدفعه الرشاش، ومن أعلى الشجرة هبط عليه «أحمد» كما تهبط الصاعقة من السماء، وقبل أن يطلق النيران من مدفعه، أطلق «أحمد» قدمه قذيفة قوية ليسقط المدفع من يده، ثم ضربة أخرى قوية، فأطاح به بعيدًا وانشقت الأرض في هذه اللحظة عن مجموعة من الرجال يجرون في اتجاههم، وقبل أن يصلوا كان هو و«إلهام» والفتاة يحلِّقون فوقهم بالطائرة. وقبل أن يُفيقوا من ذهولهم،

حصدتهم نيران مدفع «أحمد». والفتاة الصينية تراقب ما يحدث في دهشة وذهول ... رغم ما بها من إعياء؛ فطلب منها «أحمد» أن تدلَّهم على طريق المستعمرة، وهدَّدها إن راوغَتْهم فليس لها إلا الموت.

قبل أن تجيب ... لمح «أحمد» البناء الأنبوبي الذي يكمُن به بعض الأشخاص في المستعمرة ... يظهر عن بُعد، فتمنَّى لو كان معه في هذه اللحظة «فهد» و«عثمان» لتمكَّن وقتها من تدميره، والقبض على كل مَنْ بالمستعمرة، ورأى أن يناقش هذا الأمر مع «إلهام»، ولكن الوقت لم يمهله؛ لذلك فقد سمع عن بُعد أزيز طائرة هليكوبتر تلاحقه، فطلب من «إلهام» الاختفاء في قاعدة الطائرة ومعها المدفع الآلي.

ودار حول المكان أكثر من دورة وكأنه يستكشفه، حتى لحقت به الطائرة الأخرى وطلب منه قائدها التسليم، فأطلق عليه رصاصتين من مسدس، فهبط بالطائرة لأسفل، ودار بها دورة واسعة، عائدًا إليه مرة أخرى، وسيلٌ من نيران مدفعه ينهمر على «أحمد» الذي أخرج منديله من نافذة الطائرة يطلب الأمان، ثم هبط وخلفه الطائرة الأخرى لتقف بعيدًا عنه بمسافة كبيرة.

وانتظر قائدها حتى هبط «أحمد» منها رافعًا يديه، فنزل هو الآخر وفي يده مدفعه، والآخر مال عليه يفتشه، وبمهارة شديدة خرجت «إلهام» من مكانها، وصوَّبت مدفعها إليه.

وبطلقة واحدة ... أردته قتيلًا، وأصبح لديهما طائرتان، في نفس الوقت الذي اجتمع فيه كل أعضاء الجماعة «سايبرسبيس» في المستعمرة، ومعهم مستر «كول»، وبعض من أقطاب عصابات المافيا.

كان المعمل قد استعدَّ لهذا الحدث الجلَل الذي لا يعرف عنه «فهد» شيئًا.

فهو يراقب ما يحدث به، من مَخبئه في هيكل إنسان آلي.

كانت سعادته غامرة، حين وخزت رسغَه ساعةُ يده، وتلقَّى رسالة «أحمد» وعرف منها ما حدث.

فاتفق مع «عثمان» أن يستغلَّا وجود كل العاملين بالمستعمرة في المعمل لحضور لحظة الإعلان عن مفاجأة الحفل فخرجا من مخبئِهما، يجمعان ما يلزمها من أسلحة.

وحول المعمل ... زرعا الكثير من الألغام المعدَّة للتحكُّم عن بُعد.

وأدمجا دائرة تليفزيونية مغلقة بأجهزة الاستقبال المحلية للمستعمرة، وبسرعة البرق، وفي مهارة الفهود تسلَّلا وسط زحام العمال خارجين منها.

ولم يصدقا أنهما حُرَّان، فأطلقا ساقَيهما للرياح، حتى ابتعدا بالقدر الكافي.

وفي ظل شجرة توقفا، وقام «عثمان» بالاتصال بـ «أحمد»، الذي اتخذ قراره بالهبوط بعد ما شرحوا له ما حدث، ومن خلفه هبطت الطائرة التي تقودها «إلهام».

عن طريق أجهزة الاستقبال الخاصة بهم، والمزودة بشاشة تليفزيونية، شاهدوا المعملَ، وكلَّ ما يتم به.

وكان ميعاد إزاحة الستار عن مفاجأة الحفل قد اقترب؛ فساحة المعمل تعجُّ بالرجال.

وفي دائرة واسعة تحيط بالبناء الأنبوبي العملاق، اصطفَّت المقاعد، وقد امتلأت عن آخرها، عدا الصفوف الأمامية، والتي رأى «أحمد» أنها مُعدَّة لجماعة «سايبرسبيس» وزعماء المافيا.

لم يمضِ وقت طويل، حتى دبَّ في القاعة نشاط غير عاديٍّ.

ونهض كل الجالسين يقفون احترامًا لمجموعة من أكثر الرجال أناقة، وقد كان بينهم مستر «كول».

علق «أحمد» قائلًا: التاج اكتمل، ولدينا كل اللآلئ.

قال «فهد»: هل سنضرب ضربتنا الآن؟

إلهام: لا ... بل ننتظر حتى نرى مفاجأة الحفل، وكان هذا رأي المجموعة كلها.

أمام الجميع، وقف مستر «كول»، ممسكًا بمكبر صوت، يحيِّي فيه كل الموجودين، ويخصُّ بالذكر جماعة «سايبرسبيس» التي موَّلت هذا المشروع العملاق، الذي يعتبر من أعظم نتائج أبحاث الهندسة الوراثية.

ويثني على رجال عصابات المافيا الذين قدموا عونًا كبيرًا لهم، وسهَّلوا لهم الكثير من المهام.

ولكن فجأة، توقف عن الكلام، ونظر للواقفين حوله في قلقٍ.

وانطلقت من بينهم رصاصتان، سقط على إثرهما صريعًا.

وعمَّت الجلبة المكان، وشعر «أحمد» أن الأمر سيخرج من بين أيديهم، وعليهم التصرف قبل هروب «سايبرسبيس» منهم، فخاطبهم عبر أجهزة اللاسلكي، فتردد صوته بين جنبات القاعة، عن طريق نظام صوتي خاص يقول: أرجو أن يلزم كلٌّ منكم مكانه في هدوء، فبيننا حدَث هام.

وكانت هذه الكلمات سببًا في الحيرة والفزع في نفوس كل الموجودين، وهموا في الانصراف من المكان، إلا أنه هددهم أن في هذا ضررًا لهم. فلم يستمع أحد لما يجري، فما كان من «عثمان» إلا أن فجَّر لهم أول لغمٍ في المعمل حتى يصدقوا تهديدهم.

فلم يدفعهم هذا إلا إلى مزيد من الفوضى والتزاحم على ترك المكان.

رأى «أحمد» أن ينتظروهم عند منفذ الخروج، ليصطادوهم تباعًا حسب ترتيب خروجهم.

إلا أن انتظارهم طال ولم يخرُج أحد فثارت ثائرتهم، وأمرَهم «أحمد» أن يفجِّروا كل الألغام التي زرعوها في المعمل، وانطلقت أصوات الانفجارات المتتابعة، وتحوَّل المعمل إلى جحيم، وارتجَّت الأرض فجأة تحت أقدام الشياطين، حين انفجر البناء الأنبوبي، وارتفعت في سماء المنطقة ألسنة اللهب وسُحب الدخان، وتناثرت جثث رجال العصابة، وعلا صوت صراخ رهيب لكائن عملاق ما لبث أن خَفَت، ووقف الشياطين ينظرون لما حدَث في ذهول، غير مصدقين أنهم لم يستطيعوا القبض على أحد من «سايبرسبيس»، فقد احترق الجميع في أتون اللهب المشتعل، الذي نتج عن انفجار البناء الأنبوبي والذي لم يعرفوا ماذا كان به، وما هذا الإنجاز العلمي الضخم الذي وصلوا إليه؟ وما مصدر هذا الصراخ الرهيب الذي سمعوه؟! ومن جوار الطائرة، أرسل «أحمد» رسالته إلى رقم «صفر» يقول له فيها: «تمت العملية بنجاح، تم تدمير الهدف، ونطمع في إجازة قصيرة في «نيوشاتيل».»

فرد عليهم قائلًا: «أُهنئكم على ما قُمتم به، ونحن في انتظاركم؛ فلدينا مهمة أخرى. رقم «صفر».»

هنـــداوي